ISSN: 2253-0347
مجلـة علوم الإنسان والمجتمع
Journal of Human and Society Sciences
EISSN: 2602-781X
المجلد: 13 / العدد: 04 / السنة: 2024 / ص ص: 222 - 238

الصراع الروماني الداخلي و حرب يوغرطة (106-78 ق م)

Internal Roman conflict and the Jugurtha War (106-78 BC)

تاريخ الإرسال: 2024/05/07 تاريخ القبول: 2024/12/09 تاريخ النشر: 2024/12/20

حساني محمد[1]، حمادوش بولخراص[2]

[1]جامعة تيارت ، الجزائر، *EMAIL:* mhammed.hassani@univ-tiart.dz

[2]جامعة تيارت ، الجزائر، *EMAIL:* boulakhas.hammaouche@univ-tiart.dz

الملخص:

اشتعلت شرارة الحرب الأهلية في روما بعد الإصلاحات التي تقدم بها الأخوين جراكوس حيث بدأ تيبريوس إصلاحاته سنة (133 ق.م) وأكملها أخوه كايوس سنة(122 ق.م) وبعد مقتل أخوه أثرت هذه الحادثة على نظام الجمهورية الرومانية ككل، وأدت الحادثة والإصلاحات إلى انقسام الرومان إلى حزبين كبيرين هما الشعبيين والديمقراطيين ومر الصراع بينهما بثلاث مراحل كبرى، وزادت شرارة الصراع الأول بنهاية حرب يوغرطة بعدما أرهق هذا الأخير الرومان في عدة حملات عسكرية متتالية كاد أن ينهيها هذا الثائر لولا تعنت الرومان وخيانة صهره بخوس الأول، وأصبحت هذه الحرب مادة دسمة ليظهر فيها قادة الرومان شجاعتهم وكفاءتهم الحربية من بينهم القائدين ماريوس وسولا اللذان بارزوا بقوة بهاية حرب يوغرطة، وانتهى الصراع بوفاة ماريوس وبداية ديكتاتورية سولا والذي توفي سنة (78 ق م).

الكلمات المفتاحية: الصراع ، يوغرطة ، ماريوس ، سولا، الرومان.

المؤلف المرسل: حساني محمد ، **الإيميل:** mhammed.hassani@univ-tiart.dz

Abstract:

The spark of civil war broke out in Rome after the reforms introduced by the Gracchus brothers. Tiberius began his reforms in the year (133 BC) and his brother Caius completed them in the year (122 BC). After the killing of his brother, this incident affected the system of the Roman Republic as a whole, and the incident and the reforms led to The Romans split into two major parties, the Popular and the Democratic, and the conflict between them passed through three major stages. The spark of the first conflict increased at the end of the Jugurtha War after the latter exhausted the Romans in several successive military campaigns that this rebel almost ended, had it not been for the Romans' stubbornness and the betrayal of his son-in-law, Chos I This war became a rich source of material for the Roman leaders to demonstrate their courage and military competence, including the leaders Marius and Sulla, who stood out strongly in the splendor of the Jugurtha War. The conflict ended with the death of Marius and the beginning of the dictatorship of Sulla, who died in the year (78 BC).

Keywords: Conflict ; Jugurtha ; Marius ; Sulla,; Romans.

1. مقدمة:

مع نهاية القرن الثاني قبل الميلاد وخلال القرن اللاحق شهدت الجمهورية الرومانية حروبا طاحنة أدت مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد إلى سقوط النظام الجمهوري وظهور نمط جديد من الحكم سمي لاحقا بالعهد الإمبراطوري.

شملت هذه الحروب عاصمة الدولة الرومانية ومقطعاتها المستعمرة مثل بلاد المغرب القديم التي كان لها تأثير الكبير في الأحداث الجارية في روما ، بدأت الحرب الأهلية الأولى بين ماريوس وسولا بعد نهاية حرب يوغرطة ورمان لتمتد إلى باقي الولايات الرومانية.

وتعود الأسباب الأولى لهذه الحرب إلى أحداث سبقها من ثورات العبيد أو ما نسميه بالثورات الاجتماعية و إصلاحات الأخوين جراكوس الذي دعا فيه إلى الإصلاح الزراعي والذي يتمحور إلى الحد من الملكية الفردية للأراضي الزراعية، دخل فريقين متناقضين في صراع عسكري وسياسي شمل الجميع بما فيهم النوميديين، فإنه يمكننا طرح الإشكالية الرئيسية **كيف اثر الصراع الروماني روماني على يوغرطة؟** والتي نتجت عنها عدت تساءولات منها:

كيف كانت الأوضاع السياسية والعسكرية التي كانت سائدة في الدولة الرومانية و التي أدت إلى سلسلة من الحروب الأهلية ؟ وما الأسباب والدوافع التي أدت إلى اندلاع هذه الحرب؟ وكيف اثر يوغرطة على الصراع ؟ ومن هم أبرز القادة الذين أشعلوا شرارة هذه الحرب؟ وكيف كانت نتائجها على روما داخليا وخارجيا؟

2. الأوضاع أواخر القرن الثاني قبل الميلاد في روما :

قبل أن أخوض في الحديث حول سوء الأوضاع في روما في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد يمكن القول أن من بين العوامل التي زادت الأوضاع سوءا معاناة العبيد و سوء معاملتهم من طرف الرومان، مما جعلهم يقومون بانتفاضات ضخمة كانت أولاها عام (196 ق م) في إيتروريا والتي كان سببها تسلط أحد الملاك الكبار في الريف على العبيد الذين كانوا عنده، وقد نجحوا في تشكيل جيش حقيقي إلا أن القادة الرومان قضوا على هذه الحركة في مهدها، كما تحولت بعض الحركات الإصلاحية بسرعة إلى ثورة عارمة ضد الطبقة الحاكمة فلم تلبث هذه الحركات إلى أن تحولت حروب أهلية دامية وتعود أسباب هذه الاضطرابات إلى إخفاق نظام الحكم التقليدي الذي ارتكزت عليه روما طوال عدة قرون من الزمن إلى أن أصبحت سيدة العالم وسبب إخفاق هذا النظام يرجع إلى ثلاثة عوامل رئيسية وهي تدهور الأخلاق العامة وعدم صلاحية النظام الذي وضع أصلا لمدينة روما ليتحمل أعباء حكم روما الإمبراطورية، وتمسك الهيئة الحاكمة بهذا النظام وعجزها في حل المشاكل الخطيرة منها الاجتماعية فإذا قلنا أن الحكم كان بيد مجلس الشيوخ فنلاحظ أن أعضاء هذا الأخير لم يكونوا متساوين جميعا في المرتبة والنفوذ

بالإضافة إلى إدارة هذا المجلس كانت بيد فئة قليلة من أعضائه وهم النبلاء (ايوب، 1996، صفحة 200).

هناك مشاكل أخرى مست الرومان وهي مشاكل اقتصادية التي ترتبت على الفتوحات الرومانية التي كانت السبب الرئيسي في إفقار الريف الإيطالي وضعف طبقة صغار المزارعين نتيجة للحروب هاجر الكثير منهم أراضيهم وكانوا عصب الجيوش الرومانية، مما عرض أراضيهم للبوار وقد هاجروها سنوات طويلة وكان الفلاح عند عودته يصبح في الغالب غير لائق للعمل الزراعي ولا سيما أن الفتوحات هيأت لهم فرصة لنوع آخر من الكسب السريع عن طريق غلاء الغنائم وتوزيع الأموال وغالبا ما كان يعود الجند يجد أسرته قد رهنت أرضه للتوجه نحو الحياة في الغابة، مما انعكس من هذه الأوضاع على المجتمع (الحمصاني، 2007، صفحة 19).

كما أن نتائج تدهور الزراعة وازدحام العاصمة روما بالسكان من العامة بحثا عن الرزق والقوت من الموارد الغير الزراعة، وقد اجتذبتهم المآدب والمهرجانات النصر وسخاء السادة الأغنياء وبريق الحياة في مدينة، مما أدى إلى مشكلات أمنية وتموينية كبيرة وكان لعامة الناس التأثير على الحياة السياسية من ضغوطات على الجمعيات الدستورية من خلال أصواتهم الانتخابية، وظهور الملكيات الزراعية الكبيرة وعدم قدرة الطبقة المتوسطة من العامة المؤلفة من الفلاحين والمالكين الصغار أي العنصر الريفي ، وأخذت هذه الطبقة تزول تدريجيا منذ أواخر القرن الثاني قبل الميلاد وكانوا هؤلاء عنصر التوازن والاستقرار في المجتمع الروماني (حسين، 2005، صفحة 248).

كما لعب من قبل شخصيات إصلاحية في تمثيل الجمعيات الشعبية الرومانية فكانوا من أدوات بناء الدولة الرومانية فقد نجحوا في تحقيق العدالة بين الأشراف والعامة دون إراقة قطرة دم واحدة، أما الآن فقد تقاعس أفراد هذه الطبقة عن الظهور جلسات الانتخاب وجمعياتهم إما لانشغالهم لمتطلبات الحياة الجديدة أو لتعذر أو صعوبة وصولهم إلى روما ومن ثم كانت الجمعية القبلية في هذا الوقت منذ أواخر القرن الثاني قيل الميلاد لا تمثل كل هيئات المواطنين الرومان وبالتالي لم تكن أداة للديمقراطية

الصحيحة، وظهور طائفة من الرأس الماليين الذين استحوذوا على الأراضي الزراعية وشاركوا في أعمال التوسع كان له انعكاس على الحياة السياسية، فقد سيطر هؤلاء على جانب كبير من النشاط المالي والتجاري وساعدهم على ذلك أعضاء مجلس السناتو ولم يكن الرأس الماليين الجدد ينتمون للطبقة الأرستقراطية الحاكمة وإنما كانوا يؤلفون وحدات الفرسان الثماني العشر في الجمعية المئوية الذين كانوا يحبذون سياسة التوسع ويدفعون روما إلى مزيد من الحروب (الحمصاني، 2007، صفحة 21).

2. إصلاحات الأخوين جراكوس (الإصلاح الزراعي):

بعد افتقار الريف الروماني من الفلاحين الأحرار وتدهور الزراعة هيأت لظهور قانون الإصلاح الزراعي على يد السناتو تيبيريوس جراكوس الذي ينتمي إلى أسرة شهيرة في روما تلقى تعليما إغريقيا يتضمن البلاغة والفلسفة الرواقية، ويعد من بعض النواحي من أرفع الشخصيات في التاريخ الروماني، كان هذا السناتور كأسلافه عميق الشعور بالواجب مثاليا في الرقة والنبل، وكان تيبريوس قد ارتقى أول درجة في سلم الوظائف العامة بفوزه بمنصب الكوستور عام (137 ق م) الذي قضاه في إسبانيا وفي أواخر صيف (134ق م) رشح نفسه نقيبا للعامة (ايوب، 1996، صفحة 21)، وأعلن برنامجه الإصلاحي في عام (133 ق م) الذي يتلخص في مصادرة ما يزيد عن الحق الأقصى للملكية الزراعية للأراضي العامة وتوزيعها على المعدمين الإيطاليين والرومان وتكوين لجنة ثلاثية تقوم بهذا العمل، ومحاولة إعادة الناس إلى الريف، وربط الناس بالأرض، وأن لا يحوز أي شخص روماني الحيزة على أكثر من 500 فدان روماني (حسين، 2005، صفحة 255)، أو أن يحتفظ لكل ابن من أبناءه الثلاثة بمساحة من الأرض لا تتجاوز 250 فدان لكل ابن وكان في القانون كذلك منع الدولة من طرد الشخص من الأراضي المتبقية له إذا ما عجز عن دفع الإيجار في المستقبل لأي سبب (حسين، 2005، صفحة 255).

اجتذب تيبريوس دهماء المدينة الذين كانوا لهم أصوات كثيرة في القبائل الريفية المحيطة بمدينة روما لأن بعضهم أوفد إلى العاصمة في السنوات الأخيرة وكانوا تواقين للعودة إلى الأسلوب القديم، أما البعض الأخير فكانوا يأملون أن يؤدي المشروع إلى تقليل

عدد السكان مدينة روما فتزداد فرصتهم في العمل وكان فريق آخر يؤيد المشروع بدافع الحسد والحقد على الأثرياء وثمة فريقا آخر متأثر بفصاحة تيبريوس أو معجب بمنطقه في الدفاع عن مشروعه (علي، 1988، صفحة 03) و في هذا الصدد أعلن مجلس الشيوخ أن هذه الاقتراحات ليست في واقع الأمر إلا مصادرة لأموال الناس واتهمه بأنه يعمل ليكون طاغية وحاكما بأمره واقنع مجلس الشيوخ أوكتافيوس وهو تريبون آخر أن يستخدم ماله من حق الاعتراض في منع عرض المشروع على الجمعية، فما كان أمام تيبيريوس جراكوس إلا أن تقدم باقتراح يقضي بأن كل تريبيون يعمل ضد مصالح من يمثلهم يجب أن يسقط على الفور من الجمعية ووافقت الجمعية على ذلك وأخرجت أكتافيوس ووافقت على اقتراحات تيبيريوس ثم أوصلته تحت الحراسة إلى منزله خوفا أن يغتاله معارضوه الذين اتهموه بالخروج عن الدستور واستخدام العنف ضد أحد الترابنة وأراد تيبيريوس أن يظهر نفسه يوم الاقتراع بمظهر الحزن للدلالة على أن هزيمته في الانتخاب ستؤدي إلى اتهامه وإعدامه وحدث أثناء الاقتراع لجوء الطرفين إلى العنف (طراد.، 1997، صفحة 208).

انعقد المجلس في معبد الربة في جوار الكابتول الكائن عليه معبد الرب جوبتر (السعدني.، 1998، صفحة 191)والذي كان تنعقد في مواجهته جلسات الجمعية القبلية وهنالك تواترت الأخبار الكاذبة عما أقدم عليه تيبيريوس وهنالك انبرا "الصقور" من أعضاء مجلس السيناتو وطالبوا بأن يتم القضاء على تيبيريوس وجماعته وطالبوا من القنصل أن يقبض على تيبيريوس باعتباره عدوا للدولة والشعب ولم يرى القنصل نفس رأيهم وبذلك انتهت المناقشة بإجراء خطير وهو الإعلان النهائي للسيناتو وكان هذا القرار يخول القنصلين عمل كلما يلزم للحفاظ على سلامة الجمهورية وتكون أعمالهما محصنة ضد أي اعتراض من ترابنة العامة، وبما أن القنصل بيبليوس لم يكن مقتنعا برأي مجلس السيناتو في استخدام العنف ضد تيبيريوس وكذا لأنه يملك شعبية جارفة فقد قرر بعض أعضاء السيناتو أن يقوموا بأنفسهم بتطبيق هذا القرار، وقاد مجلس الشيوخ أنصارهم إلى سوق العامة مسلحين بالهراوات خافا أنصار تيبيريوس بمجرد ظهور أثواب الأشراف الفخمة فتخلوا عنه وأصيب تيبيريوس في رأسه فقتل على إثرها (علي، 1988، صفحة 07) ،وقتل كذلك 300 رجل من أتباع تيبيريوس جراكوس بواسطة قذائف الحجارة وضربات

العصي وكان مقتل تيبيريوس أول خرق للسلام الذي كان سائدا في المجتمع الروماني، والذي انتهى بحمام من الدماء لم يحدث مثيله منذ طرد الملوك الأجانب (حسين، 2005، صفحة 273).

أراد مجلس الشيوخ أن يهدأ من الثورة العارمة فوافق على تنفيذ قوانين جراكوس، فتحرك أخيه كايوس جراكوس بالرغبة في الانتقام وكان رجلا واقعيا أكثر من أخيه حيث أدارك أن نجاح أي إصلاح لا بد أن يحضا بأغلبية من القوة الاقتصادية والقوة السياسية ولذلك استقر رأيه على أن يضم إلى جانبه خمس طبقات وهي المزارعين والجيش والعامة وسكان المدن ورجال الأعمال، فأما الطبقة الأولى فقد ضمها إليه بالعودة إلى القوانين التي سنها أخوه ووسع ممتلكاتها في الأراضي الزراعية التي تملكها الدولة في جميع الولايات التابعة لها حيث تم تشكيل لجنة الأراضي وأشرف بنفسه على أعمالها وسن عدة قوانين واستطاع كايوس أن ينتخب تريبونا للمرة الثانية، وكان يهدف من كل هذه الإصلاحات إلى رفع مستوى المعيشة لجميع فئات الشعب الروماني ويرمي كذلك إلى تقوية الجيش الذي أصابه الوهن بعد أن قلت في صفوفه العناصر الريفية القوية التي لولاها كما يقول كاتوا " ما كان لروما جيش عتيد" ولم يكن تيبيريوس أول من فكر في الإصلاح فقد سبقه آخرون،ولكن الأمر الجديد هو تمسكه بمشروعه رغم عداء النبلاء ومقاومتهم له (حسين، 2005، صفحة 262).

وقد نجحت محاولات الأخوين جراكوس والمحاولات المماثلة في زعزعة سلطة مجلس الشيوخ، ولكن هذا لم يؤدي إلى تقوية مركز العامة وتحسين وضعهم السياسي (الوهاب.، 1958، صفحة 32).

3.الصراع بين ماريوس وسولا:

1.3. ماريوس:

بينما كانت روما منهمكة في الصراع الداخلي الذي احتدم بين السناتو وأتباع الإخوة جراكوس كانت الجيوش الرومانية متقاتلة فيما بينها على الحدود دفاعا على سلامة

الأراضي الجمهورية، ولم تمضي عدة أعوام عن وفاة جاسيوس (132 ق م) حتى أصبح الفساد يعم الجمهورية واشتعلت الحرب من جديد بين الحزبين (الحزب الديمقراطي والحزب الارستقراطي)، والحرب التي خاضتها روما في شمال إفريقيا ضد الزعيم النوميدي يوغرطة (سالوست.، 2007، صفحة 20) .

إن هذا الصراع العسكري عظيم مع النوميديين أنجب ماريوس وقائد آخر يدعى سولا، وبظهور ماريوس ابتدأ طور آخر في حياة الجمهورية وهو دور لعب فيه القواد العسكريين ومعهم بدأت مرحلة كان فيها جنود الكتائب المأجورون يقاتلون في سبيل السيطرة على العالم الروماني (حسين، 2005، صفحة 294).

خدم ماريوس تحت قيادة سكيبو في شمال إسبانيا وظفر ماريوس بأحد مناصب ترابنة العامة لسنة(119 ق م)فكان ذلك بداية حياة سياسية وعسكرية ذات أثر بعيد في تاريخ روما بأسره.في سنة (107 ق م) وصل ماريوس إلى إفريقيا وأثار على النوميديين حربا شعواء قهرهم فيها وشتت عساكرهم، وقد أحدثت هذه الحرب آثارا ونتائج بعيدة المدى على روما نفسها، إذ فقد مجلس الشيوخ هيبته بعد أن انكشف عجزه الواضح وارتشاء أعضائه وانعدام روح المسؤولية بينهم كما أثبتت أن بالإمكان تكوين جبهة موحدة بين العامة والفرسان (عكاشة.، 1991، صفحة 1988).

كما تعد تجربة ماريوس جديدة في تاريخ روما إذ لم يحدث أن تولى شخص القنصلية مرتين واستطاع كذلك أن يوحد جيشا نظاميا تقوم الدولة بتسليحه ويكون الولاء لقائده إذا كانوا يحصلون على المكافأة في كل حرب وهكذا ارتبطت مصالح الجنود بأفراد القيادة العسكرية وهذه الظاهرة الجديدة سوف تظهر خطورتها فيما بعد، أما عن إصلاحات ماريوس العسكرية فتمثلت في إعادة الجيش وتنظيمه وتسليحه وتدريبه وغيَر نظام التجنيد حتى يستطيع أن يعبئ القوات اللازمة إذا فتح باب التجنيد للمواطنين الفقراء لجميع أنحاء الجمهورية، والاعتماد على التطوع أكثر منه على التجنيد في الجيش وأفضت هذه الإصلاحات العسكرية إلى الانتصار على بعض القبائل المجاورة في (102 ق م)، وهكذا فإن إيطاليا قد تجنبت بفضل ماريوس الانهيار المبكر، ومنذ ذلك الحين ضلت الجيوش الرومانية لا تخلو من أتباع ماريوس (طراد.، 1997، صفحة 165) .

دخل ماريوس في صراعات داخلية مع أعضاء مجلس الشيوخ وبعض الترابنة عملت هذه الحوادث على أضعاف مكانة ماريوس السياسية حتى أصبح يصغر في عين مجلس الشيوخ، ولم تعد العامة تحترمه لكونه لم يستطع التحكم في أنصاره وحلفائه ولم يستطع حمايتهم وبذلك خرج السناتو منتصرا وتمكن الرومان من إنهاء الحرب الاجتماعية التي خاضتها روما مع القبائل ليس بقوة سلاح بل عن طريق إعطاء حق المواطنة للايطاليين وهو ماجعل تلك الشعوب تتنازل عن حق الانفصال عن الدولة الرومانية حيث أقامت مدن ايطالية على هيئة بلديات يتولى الإدارة المحلية في كل واحدة منها مجلس ينتخبه مواطني البلدة ومن نجاحاته حصوله على القنصلية سنة 88ق،م (الصفدي، 1967، صفحة 240)، لما دخل ماريوس إفريقيا قام بعدة تغيرات كبيرة في الجيش الروماني المرابط في شمال إفريقيا ورفع القوات المقاتلين وسلح الجيش بأحدث العتاد، فهذا الأخير يعرف جيدا من هو يوغرطة ومراوغته العسكرية وعناده الحربي (بولخراص.(2015)،نالعدد30،ن،، 2015، صفحة 65).

2.3. سولا:

ينحدر هذا القائد من أسرة ارستقراطية نبيلة من أهم ما قام به سولا مساعدته قائده ماريوس في القضاء على يوغرطة و رأس المفاوضين الرومان مع بخوس وحربه ضد الإيطاليين التي دامت سنتين(91- 89ق م)، أنقذ روما من هجمات الإيطاليين (سالوست.، 2007، صفحة 125) ولكن رغم ذلك نالوا مطلبهم المتمثل في المواطنة وهذه الأحداث هي التي كانت سببا في شهرته، وقادته هذه انتصارات إلى تدعيم ترشيحه لمنصب القنصلية لعام (88 ق م)، كما قام بتأديب الثوار في الجنوب ،فقد نصب قنصلا وعهد إليه بعدها أن زحف على ميثراديتس السادس ملك بونتس الذي أغار على آسيا الصغرى (طراد.، 1997، صفحة 187) حقق سولا عدة انتصارات في مهمة في الشرق، ولكنه لم يقض عليه نهائيا ورجع إلى روما ودخلها بقوة فأقره مجلس الشيوخ ديكتاتورا لمدة غير محدودة لتنظيم شؤون البلاد، وصدقت اللجان والسيناتو على أعماله الماضية ووجدوا مبررا لكل جرائمه الماضية التي ارتكبها (حسين، 2005، صفحة 350)

بقي سولا بالمنصب الديكتاتور لسنة (82 ق م)ليبدأ في عملية إصلاح الدولة حسب المخطط الذي ارتآه، والذي يعمل على توطيد سلطة السيناتور وضرب نفوذ الشعبين في مؤسسات الدولة حيث انتزع من الجمعية المئوية حق اختيار الأشخاص الذين يتولون سلطة الأمبيوم العسكرية وأعطاها لمجلس الشيوخ، وفرض موافقة هذا المجلس على مشاريع القوانين التي تقدم للجمعية، وجمع في عام (80 ق م) بين الديكتاتورية والقنصلية والسلطات الاستثنائية لمدة غير محدودة وجعلته في مركز الحاكم المطلق بسلاح الديكتاتورية التي لا حدود لها، وعمل على القتل والتنكيل ومصادرة الأملاك لأعدائه، كما أنه أصدر عدة قوانين وتشريعات تعمل على تأييد وزيادة سلطة السيناتو، وقسمت تشريعات سولا إلى قسمين قسم نشعر فيه بتعصبه إلى حزب السيناتو وعدم وضع اعتبار للجمعية الشعبية وقسم آخر قصد به إصلاح الحكومة (الحمصاني، 2007، صفحة 54)، واستطاع سولا بقوته وبطشه أن يلغي العديد من المشاريع التي سنت في عهد ماريوس عندما كان أحد ضباطه في إفريقيا وفرض إصلاحات جديدة، (مصر،، 2002، صفحة 149)وكما كان له دور في الحرب اليوغرطية التي انتهت لمصلحة الرومان (ايوب، 1996، صفحة 213).

4. حرب يوغرطة وبزوغ ماريوس وسولا:

بعد بزوغ النوميديين في مسرح الأحداث العسكرية العالمية بداية من القرن الثالث قبل الميلاد، أصبح لهم شأن وتأثير عسكري في شمال إفريقيا، وسطع نجم عدة قيادات عسكرية غيرت مجرى التاريخ العالمي بصفة عامة وتاريخ بلاد المغرب القديم بصفة خاصة، وتدرج النوميديون من المشاركة في التحالفات العسكرية مع الإمبراطوريات القديمة ودعم فريق على آخر إلى الاستقلال العسكري الذاتي وإعلان الثورة والحرب ضد هذه الدول، من القائد ماسنيسا الذي تحالف مع الرومان وحارب قرطاجة من أجل استرجاع عرشه المنهوب وأرض أجداده إلى مكيبسا الذي استقرت الأوضاع الداخلية في عهده واكتفائه بالمشاركة في الحروب الرومانية الخارجية والتي بزغ فيها الأمير يوغرطة، تعد ثورة الأمير يوغرطة من أروع المقاومات النوميدية لبلاد المغرب القديم، ذات الاستقلالية والتمرد على الهيمنة الرومانية، فبعد القضاء على الدولة القرطاجية سنة

(146ق م) زادت شهية الإمبراطورية الرومانية في التوسع على حساب النوميديين، واتبعت سياسة الرومنة من خلال الاحتلال غير المباشر إلى الاحتلال المباشر، كما بدأت روما حرب على يوغرطة بحملات عسكرية متتالية على نوميديا بداية من حملة باتستا الذي كان يتابطئ في حربه على يوغرطة بسبب إستراتجية هذا الأخير في فن المعارك الكبيرة (فنطر.، 1970، صفحة 168).

حسم يوغرطة المواجهة وتم استدعاء باتستا المثول أمام مجلس الشيوخ فشل النبلاء في إنهاء الحرب ضد يوغرطة واتهامهم بالرشوة وتم عزله وسقوطه في فخ يوغرطة وبعد تولي البينوس القنصلية جدد الحرب ضد يوغرطة وخاصة بعد مقتله ماسيفا احد أحفاد الملك ماسينيسا (سالوست.، 2007، صفحة 54) ، كان يوغرطة يبدع مرة أخرى في حربه ضد البينوس ويحاول بكل أسلوب أن يكسب الوقت، حتى اعتقد الكثيرون أن القائد الروماني يجهل مخططات يوغرطة، غادر البينوس نوميديا وترك قيادة المعسكر لأخيه اولوس الذي هزم في معركة المثول (سالوست.، 2007، صفحة 55).

بعد اتفاقية اولوس المذلة للرومان مع يوغرطة وفضيحة هروب جيشه أعطيت القيادة الإفريقية ليمتيلوس الذي كان رجلا شجاعا ومعاديا لحزب الشعبي ويتمتع بشهرة والنزهة، وبمجرد أن استلم القيادة قام بتجنيد جنود جدد لأنه لم تكن له ثقة في الجيش القديم، وقدم له مجلس الشيوخ الروماني كل التسهيلات (سالوست.، 2007، صفحة 63)، ولان يوغرطة كان ماكرا ويعرف المنطقة والشؤون العسكرية معرفة جيدة (سالوست.، 2007، صفحة 67)، أباد في إحدى معاركه مؤخرة الجيش الروماني، واجه النوميديين الرومان بشجاعة وبأساليب حربية جديدة غير معتادة، وبهذا الأسلوب حارب القائدين بعضهم البعض وتفوق يوغرطة بمعرفته الجيدة بالمنطقة (سالوست.، 2007، صفحة 72).

بعد ميتليوس أسندت المهام العسكرية إلى ماريوس الذي يعرف خبايا إفريقيا جيدا وكان مساعدا لميتلوس في حربه على يوغرطة وعرف عن الأخير قوته وضعفه ،كما كانت له الروح العدائية اتجاه النبلاء، فأعطى الأولوية للحرب وطلب الدعم العسكري

والمعنوي وحشد الجيوش من جميع الولايات الرومانية والحلفاء (سالوست.، 2007، صفحة 106)، وكان ماريوس يدرس كل كبيرة وصغيرة عن يوغرطة، قام هذا الأخير بهجمات متكررة مع حلفائه الجيتول، وعند وصول سولا مع سلاح الفرسان إلى إفريقيا لمساعدة ماريوس في حربه ضد الثائر والعنيد يوغرطة، وفي وقت قصير أصبح سولا محبوبا للجميع بما فيهم ماريوس (سالوست.، 2007، صفحة 126).

فتح بوخوس التفاوض مع الرومان بعدما خسر عدة معارك معهم وخوفه على ملكه من هنا تبدأ نهاية مقاومة يوغرطة ويبدأ صراع جديد بين القائدين اللذان هزموه وكأنها لعنة يوغرطة تتبعهم، ومن قبل عندما علم مجلس الشيوخ الروماني بالصراع الداخلي في إفريقيا بين الملكين النوميديين حتى أوفد ثلاثة رسل بعهدتهم الاتصال بالمتصارعين وإخبارهم برغبة روما في إنهاء هذا الصراع وحل المشاكل الداخلية بالطرق السلمية، كان لماريوس الفضل في القضاء على يوغرطة وإلقاء القبض عليه، فإن القائد العسكري سولا قد نجح في القضاء على ثورة الإيطاليين الذين شنوا حربا ضد روما احتجاجا على عدم منحهم المواطنة الرومانية وبعد دعوة ماريوس إلى روما وتحقيقه للانتصارات أصبح مطلق اليد في الحكومة وعندئذ تألف في العاصمة حزبان دعيا أنفسهما باسم حزب الشعب وهو حزب ماريوس وحزب الأشراف وهو حزب مجلس الشيوخ (حسين، 2005، صفحة 329).

بدأ الصراع بارتكاب أتباع ماريوس فضائع وجرائم كبيرة في روما مما أدى إلى تلويث شهرته بين الناس فاغتنم أحد الأشراف وهو مساعده في حرب إفريقيا سولا هذه الفرصة لينازعه السلطة، وكان هو أيضا من جملة القوات ذهب سولا إلى معسكر الجيش خارج المدينة، وصادر أنصار ماريوس ممتلكات سولا، وفي هذه الحالة لم يعد السيناتور من يدير الأمور بل ينفذها بأمر من ماريوس، وعرف أن سولا يسير على رأس الجيش إلى روما،أرسل له السيناتور وفد لكنهم تحدثوا معه بلهجة حادة فكاد الجند أن يفتكوا بهم لكن وقع ما لم يكن في الحسبان فقد أهانهما ونزع شارتهما العسكرية ومزق أزياءهم البنفسجية، واتجه سولا نحو روما، فأخذ ماريوس عضوين من السيناتور استعدادا

للدفاع عن المدينة بعد أن حاول تجنيد العبيد تحت قيادته لكن دون جدوى (سينوبس.، 2012، صفحة 190) .

أعاد سولا الوضع إلى ما هو عليه وقام بإجراءات استثنائية فقرر تجريد ماريوس وأنصاره من الجنسية الرومانية وأهدر دمهم وصادر أملاكهم دون محاكمة، وتمكن هذا الأخير من الهروب إلى إفريقيا حيث المستعمرات التي يقطنها جنودها القدامى، ولما ذهب سولا إلى قتال ميثرادتيس السادس حتى قرر كينا أن يعيد الأمور إلى سيرتها الأولى خاصة أنه كان من المتعاطفين مع ماريوس، وأبدى رغبته في إعادة القانون الخاص بخلفاء إيطاليين إلى سيرته الأولى وتوزيعه على قبائل الرومان، وكان من الطبيعي أن يعارضه القنصل الآخر جنايوس وأوحى إلى أحد ترابنة العامة بمصادرة مشروع القانون فلجأ الطرفان إلى العنف، فخرج أنصار سولا من روما فلما علم ماريوس بما حدث اصطحب معه بعض الفرسان النوميديين وبعض من جنوده القدامى ولم يكن عددهم يتجاوز الألف في إثروريا ومن هناك تزايد أنصاره واستولى على أوسيتيا فتوقفت إمدادات القمح، وواصلت قوات ماريوس الزحف إلى روما وتصدت لها قوات جنايوس لكن كثرة قوات كينا وحلفائه كانت عائقا أمام المدينة المحاصرة، في ظل هذا الموقف انعقد السيناتو وقرر إرسال مبعوثين إلى كينا وماريوس يدعونهما إلى دخول المدينة، حقنا لدماء المواطنين، إستقبل كينا المبعوثين جالسا على الكرسي كونه قنصل لعام (87 ق.م)، وأعطى ردود مشجعة لممثلي السيناتو، أما ماريوس فقد وقف بجانب الكرسي وكانت التعبيرات البادية عليه أنه سيغرق المدينة في بحر من الدماء (حسين، 2005، صفحة 331).

بذل سولا مجهودا في إلقاء خطابات على جنوده المعسكرة خارج روما محمسا إياهم على رد إهانة ماريوس، ولكن ليس من السهل على جنود الرومان طاعة قائد يأمرهم بالزحف على العاصمة لأن هذا الأمر خارج عن أعراف الرومان و ستكون أول حدث من نوعه في تاريخ الرومان ولكنهم أطاعوا أمره بعد التفكير في مصالحهم الشخصية بعدم تفويتهم فرصة الحرب المربحة ضد ميثرادتيس السادس (بوصبيع ، 2013 ، ص46)

5. نتائج الحرب الأهلية الأولى بين ماريوس وسولا:

بعد خروج روما من هذه الحرب بهذه السرعة إذ لم تكن قد سلمت بما رفضته من قبل وأوغل صدور حلفائها الإيطاليين حقدا عليها وكراهية لها ودفعهم إلى تحديها، قد ترتب على منح حقوق المواطنة الرومانية للحلفاء الإيطاليين زوال ذالك العهد الذي كانت فيه إيطاليا عبارة عن مجموعة من المقاطعات الخاضعة لروما، وبداية عهد جديد أصبحت فيه الجمهورية الرومانية تضم كل إيطاليا تقريبا على حد قول شيشرون (حسين، 2005، صفحة 371)، أصبح لكل مجتمع تقريبا من المجتمعات الإيطالية وطنان: أحدهما وطن طبيعي،أي وطنه الإيطالي، والآخر وطن سياسي، أي الجمهورية الرومانية التي أصبحت وطنا مشتركا لكل سكان إيطاليا تقريبا بيد أنه لا يفوتنا أن نشير إلى عددا من المدن الإغريقية في جنوب إيطاليا مثل هرقليا (حسين، 2005، صفحة 100) ونيابوليس وغيرهما، فضلت أن تبقى حليفات حرة،هذا إلى أن المجتمعات الوطنية شمالي البلوم تمنح إلا الحقوق اللاتينية، وفضلا عن ذلك فإن المستسلمين تركوا دون تحديد مركزهم القانوني، وبذلك أصبحوا أداة مفيدة في الصراع الداخلي المقبل.ولم يكن لصقلية نصيب مما حصل عليه الإيطاليون لأنهم لم تشترك في ثورتهم (حسين، 2005، صفحة 340) .

اكتساب عدد كبير من الحلفاء حقوق المواطنة الرومانية، إلا أن هذا لم يزد من الأهمية السياسية لهؤلاء المواطنين وقبائلهم وذلك راجع لعاملان: أحدهما هو تسجيل هؤلاء المواطنين في عدد محدود من القبائل الرومانية، والعامل الثاني أن مواطن الاستقرار أغلب هؤلاء المواطنين كانت بعيدة عن روما، وتبعا لذلك كانوا بعيدين عن مجريات الأحداث في روما، وقد كان جراء ذلك كله أن المنازعات الحزبية القديمة استمرت على نحو ما كانت عليه من قبل وأن مواطني الأقاليم البعيدة لم يلعبوا أي دور بذلك في الصراع الذي أدى إلى القضاء على النظام الجمهوري الروماني إلا بوصف كونهم مقاتلين في فرق الطامعين في الاستيلاء على السلطة، وقد كانت لهذه الحرب نتائج اقتصادية ملموسة بسبب ما تكلفته الحرب من نفقات باهظة وأفضت إليه من تخريب جهات كثيرة في ايطاليا.

قام سولا بافتكاك المكاسب ضد مصالح العامة من الرومان الإيطاليون والحلفاء بإصدار مجموعة من التشريعات توطد من نفوذ السيناتو وتقلل من سلطة الترابنة وحامي الشعب والجمعيات المئوية نذكر منها:

- حرمان نقباء العامة من طرح المشاريع والقوانين التي يرغبون في إقرارها على الشعب قبل أن يوافق عليها السيناتوس ومنع المحامين من شغل مناصب سياسية أخرى لمدة 10 سنوات بعد انتهاء فترة تربونياتهم.

- انتزاع من الجمعية المئوية حق اختيار الأشخاص الذين يمكن أن يتولوا سلطة الأمبريوم العسكرية ومنحها لمجلس الشيوخ مع وجوب موافقة هذا الأخير على القوانين التي تقدم للجمعية. رغم أن سولا كانت حجته في قراراته الحفاظ على النظام الجمهوري إلا أن أفعاله كانت عكس ذلك حيث أقام نفسه دكتاتورا لمدة غير محدودة وتغيير القوانين التي كانت سائدة في النظام الجمهوري والتي كانت تأتي عادة عن طريق المجالس التشريعية فقد حقق ما يريده وما تتطلبه الظروف ولكن بالقوة وتحت قناع دستوري وهذا التحول في من منصب الدكتاتورية واستخدامه كهدف لإخماد أصوات المعارضة والقبض على الدولة كان أحد مظاهر الهامة لانهيار النظام الجمهوري ومقدمة للحكم الفردي وفي كل هذه الأحداث والظروف التي نشبت في هذه الفترة ، الإضافة إلى هذا هناك تشريعات أخرى تنظيمية جديدة أراد سولا من خلالها ترتيب أوضاع الدولة بعد الفوضى والحرب التي عانتها،لكن أغلب هذه التشريعات كانت تهدف إلى إعادة مركز السيناتو القديم الذي كان عليه قبل ظهور تيبيريوس جراكوس وضمان استقراره في ذلك المركز ولكن الغريب في الأمر أن سولا لم يكمل مساره . (تارخ.، 2010، صفحة 356).

6. الخاتمة:

كان النوميديون يقاتلون جنبا إلي جنب في حروب الإمبراطورية الرومانية الداخلية والخارجية، وأنجبت هذه الصراعات قيادات عسكرية من جميع الأطراف بما فيها النوميديين وهذه القيادة المحلية أثرت على الحياة السياسة والعسكرية لرومان وغيرت الحركة التجارية بين روما وبلاد المغرب القديم، أرغمت الرومان على ظهور قيادات عسكرية كبيرة، بما لا يدع مجالا للشك أن الدستور الروماني أصبح لا يطبق ورغم إدعاء القادة بالحفاظ على قوانين الجمهورية إلا أنه في حين وقفت القوانين في طريقهم غيروها بما يحقق رغباتهم وإن الخلافات بين الأحزاب لم يعد حلها عن طريق المجالس المنتخبة

والمجالس السياسية بل أصبحوا يقررون خلافاتهم بقوة السلاح ومن هنا تحول محور الحياة السياسية بدلا من تطبيق القانون أو تطبيقه أو تعديله من أجل إصلاحه كما حدث في بداية العصر الجمهوري، وصار الأمر الآن هو التغيير بالقوة من أجل الوصول إلى السلطة. واتخذت الحياة السياسية مظهر الصراع الحزبي والانتهاكات الدستورية، وهكذا يتضح أن الجمهورية كانت في طريقها للسقوط لا محال وسوف يتقرر مصيرها في هذه الفترة التي تلت ماريوس وسولا وهي مرحلة التكتلات العسكرية في عهد القادة الزعماء أكثر شرسة.

قائمة المصادروالمراجع:

المصادر:

1. سالوست. (2007). الحرب اليوغرطية،.تر: محمد المبروك الدويب. ليبيا: نشر جامعة بنغازي.

المراجع:

1.ابراهيم رزق الله ايوب. (1996). التاريخ الروماني. مصر: الشركة العالمية للكتاب.

2.إبراهيم طراد. (1997). تاريخ الرومان. مصر: مطبعة ومكتبة الغد الجيزة.

3.بلو تارخ. (2010). تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق، تر: جرجيس فتح الله . لبنان: لدار العربية للموسوعات.

4.شارل سينوبس. (2012). تاريخ حضارات العالم ،تر: محمد كرد علي. مصر: نشر العالمية للكتب والنشر.

5.عبد اللطيف أحمد علي. (1988). التاريخ الروماني،عصر الثورة من تيبيريوس غراكوس إلى اوكتافيوس أغسطس. لبنان: دار النهضة العربية.

6.علي عكاشة،. (1991). اليونان والرومان. الاردن: نشر دار الأمل للنشر والتوزيع.

7.عمران عبد الحميد، العدد13،،. (23 13, الجزائر.). يوغرطة في حربه ضد روما 112-104ق م. مجلة العلوم الانسانية ، صفحة 5.

8.محمد فنطر. (1970). يوغرطة. ليبيا: مكتبة المركز الثقافي التونسي.

9.محمود إبراهيم السعدني. (1998). حضارة الرومان. مصر: نشر عين للدراسات والبحوث الاجتماعية.

10.ناهد عبد الحليم الحمصاني. (2007). تاريخ الرومان. مصر: نشر جامعة عين الشمس.

11.هـ،ج، ويلزل . مصر،. (2002). موجز تاريخ العالمتر: عبد العزيز توفيق . مصر: نشر مكتبة النهضة المصرية.

12.هشام الصفدي. (1967). تاريخ الرومان. لبنان: المطبعة اللبنانية.

13.يحي لطفي عبد الوهاب. (1958). مقدمة في نظم الحكم عند اليونان والرومان. مصر: مطبعة دار النشر الثقافية .

14يوسف حسين. (2005). تاريخ وحضارة الرومان في العصر الجمهوري. مصر: نشر مطبعة الهيئة العامة لدار الكتاب والوثائق القومية.

المقالات:

1.حمادوش بولخراص.(2015)،االعدد30، (30 7, 2015). نوميديامن ماسينيسا الى يوغرطة. مجلة الحكمة للدراسات التاريخية .